

الجودة التعليمية من منظور إسلامي

quality of education from an Islamic perspective

شرقي صالح الدين¹، بوعشرين فاتح²¹ مخبر الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة، جامعة باتنة1 (الجزائر)، salaheddine.chergui@univ-batna.dz² مخبر الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة، جامعة باتنة1 (الجزائر)، fateh.bouacherine@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/21 تاريخ القبول: 2024/11/26 تاريخ النشر: 2024/12/15

ملخص:

في بحثنا هذا نهدف إلى بيان مفهوم الجودة التعليمية من المنظور الإسلامي، مع استنباط أهم معايير أهدافها ومعاييرها من خلال القرآن والسنة، والحياة العملية للخلفاء والصحابة رضوان الله عليهم. وخلص البحث إلى العديد من النتائج أهمها أن الجودة قيمة إسلامية أصيلة مرادفة للإحسان والالتقان، تحتاج إلى تفعيل لتحسين الأداء التعليمي، حيث من أسباب التخلف في المجتمعات الإسلامية اليوم افتقارها خاصة الإلتقان والإحسان كظاهرة سلوكية وعملية على صعيد الأفراد والمجتمعات. ومما خلص إليه بحثنا أيضا أن معيار الإعداد الروحي والخلقي للمعلم ميزة يختص بها التصور الإسلامي، وهي تضاهي الرقابة الإدارية في المفاهيم التعليمية الغربية.

كلمات مفتاحية: الجودة، التعليم، منظور إسلامي

Abstract:

In this research we aim to clarify the concept of educational quality from an Islamic perspective, while deriving the most important criteria of its goals and standards from the Qur'an and Sunnah, and the practical lives of the Caliphs and Companions, may God be pleased with them. The research concluded with many results, the most important of which is that quality is an authentic Islamic value synonymous with excellence and mastery, which needs to be activated to improve educational performance. Our research also concluded that the criterion of spiritual and moral preparation of the teacher is a feature specific to the Islamic concept, and it is comparable to administrative control in Western educational concepts.

Keywords: quality, education , Islamic perspective.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لا شك أن من مظاهر تقدم الدول وتحضرها اعتنائها بالتعليم عموماً، وحرصها على نوعيته خصوصاً، لذا فتجويد التعليم وتحسينه والارتقاء بمستواه أضحت ضرورة يملها واقع الحياة المعاصرة، وحثمية تستدعي من كل الفاعلين تغيير النمط التعليمي السائد وتحسين العملية التعليمية وتحقيق الجودة فيها، بل صار ضمن أولويات كثير من دول العالم .

ومن المعلوم أن للعلم مكانة عظيمة، وقيمة محفوظة في شريعتنا وفي فكرنا الإسلامي، لذا الحديث عن الجودة التعليمية لا يقل شأنًا عن العلم نفسه، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن هنا جاء هذا المقال لتبسط البحث فيما يتعلق بالجودة التعليمية من منظورها الإسلامي ، وتنطلق من إشكالية مفادها: ما الجودة التعليمية في المنظور الإسلامي؟ وماهي أهم معايير جودة المعلم لتحقيق هذه الجودة التعليمية؟

وفي بحثنا هذا نهدف إلى بيان مفهوم الجودة التعليمية من المنظور الإسلامي، مع استنباط أهم معايير أهدافها ومعاييرها من خلال القرآن والسنة، والحياة العملية للخلفاء والصحابة رضوان الله عليهم. وتمت الإجابة عن هذا التساؤل في إطار السياق الذي تم ضبطه في المحاور المرتبطة بالعنوان من خلال المنهجية الآتية:

-المطلب الأول: مفهوم الجودة التعليمية من منظور إسلامي.

-المطلب الثاني: أهداف الجودة التعليمية من منظور إسلامي.

-المطلب الثالث: معايير جودة المعلم من منظور إسلامي.

2. مفهوم الجودة التعليمية من منظور إسلامي

إن مفهوم الجودة من المصطلحات القديمة التي لها أساس في الإسلام أو تعاليم الإسلام، وهو مطلب لإرضاء الله عز وجل، ومفهوم الجودة في الإسلام متأصل في القرآن والسنة النبوية بمصطلحات مغيرة منها الدقة والإحسان والإتقان.

إن الجودة في الإسلام تعتبر جزء من النظرة العامة لجودة الحياة في الدولة، وتنبت تلك النظرة من التوجه القرآني (المعشري، 2016، ص66) في قوله تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } . (سورة النحل، آية 77).

يمثل العمل الصالح جميع ممارسات الجودة في المجتمع في كافة مجالات الحياة، منها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية وغيرها، ليضمن للإنسان حياة طيبة في الدنيا، وفي الآخرة جزاء جزيلًا نتيجة العمل الصالح (العجلوني، 2006، ص136).

إن الجودة بفهومها العام قيمة إسلامية حث عليها الشرع في كل الأعمال والتصرفات، ولمختلف المضامين المتعلقة بحياة الإنسان، وفي هذا المعنى يقول تعالى: { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } . (سورة البقرة، آية 177).

وكيف لا يكون الإسلام دين الكمال والجودة والإبداع وهو دين الله { بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } . (سورة البقرة آية 117).

إن الإبداع البشري هو أثر ومظهر من آثار ومظاهر الإبداع الرباني، بل إنه وظيفة تكليفية ومسؤولية شرعية، وليس خيارا بشريا قبله إنسان أو رفضه، يقول تعالى: { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } (سورة القيامة، آية 36).

1.2 تعريف الجودة في الإسلام

على ضوء ما سبق فإن من أهم التعاريف للجودة في الإسلام هي " المواصفات والخصائص المتوقعة في المنتج، وفي العمليات والأنشطة التي من خلالها يتحقق رضا رب العالمين أولاً، ثم تتحقق المواصفات

التي تساهم في إشباع رغبات المستفيدين، وتتضمن السعر والأمان والتوفر والموثوقية والاعتمادية وقابلية الاستعمال" (عليقات، 2004، ص16).

حيث يتم تحقيق غاية سامية وهي إرضاء الله تعالى وذلك بالعمل الصالح في جميع المجالات الدينية والعلمية والاقتصادية، وهذا لا يكون إلا بالالتزام كلياً بالقرآن والسنة، والاخلاص وتحقيق مقاصد الشرع، وهذا يتأتى بالمراقبة الذاتية في أي عمل والتي تستوجب إحضار رقابة الله في أي عمل تحقيقاً للجودة والإتقان.

2.2 مصطلح الجودة في الفكر الإسلامي تاريخياً:

استعمل علماء الإسلام مصطلح الجودة في مختلف العلوم والفنون وهذه بعض الأمثلة:

1- مثلاً يشرح ابن خلدون في المقدمة ما شهد له بعض ما شهد في المجالس العلمية في المغرب من طول الأمد في تحصيل العلم وعدم حصول المبتغى من الملكة العلمية: " لأجل عسرهما من قله الجودة في التعليم خاصة، لا مما سوى ذلك" (ابن خلدون، 2008، ص546).

2- أورد ابن الأزرقي عند بيانه أن الصانع لا بد له من معلم وذلك لأن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وعند ذلك فاشترط المعلم فيها ظاهر من وجوه وذكر منها: " أن صدق المتعلم في الصناعة على قدر جودتي التعليم وملكة المعلم وذلك من أثر المعاينة فيكون شرطاً في خلقه وحصول ملكته" (ابن الأزرقي، 323).

4- يتحدث ابن سينا عن جودة الغذاء وفوائده " وأن النفخة لا تكون كبيره جدا ولا في أوقات كثيرة ولا في أوقات جودة الغذاء" (ابن سينا، 486).

6 - واستعمل المصطلح أيضاً في كتب التاريخ، مثلاً ذكر ابن الأثير صفات السلطان محمد... ومنها " وكان ذو جودة رأي وشجاعة" (ابن الأثير 621).

6- ومن الأبواب العامة بهذا المصطلح باب الفقه في بيعات، ويذكر الفقهاء السلعة الجيدة مقابل السلع الرديئة.

3.2 مصطلحات ذات صلة بمصطلح الجودة في الإسلام

إن المتتبع لآيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يجب أن الإسلام حث على الجودة بمعاني أخرى أهمها الإتقان والإحسان.

1.3.2: الإتقان

الإتقان في اللغة

الإتقان لغة أتقن الشيء أحكمه وإتقانه إحكامه، والإتقان الإحكام للأشياء وفي التنزيل العزيز: {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} (سورة النمل، آية 88)، ورجل تقن متقن للأشياء حاذق، قال أبو منصور الأصل في التقن ابن تقن هذا إشارة إلى رجل ممن مضى، ثم قيل لكل حاذق بالأشياء تقن.

الإتقان في الاصطلاح

من بين التعاريف الاصطلاحية للإتقان: "الأداء المتكامل لشخص محترف في أي مجال عملي" (المرجاني، 1433، ص96).

الإتقان في الإسلام

الجودة هي أحد مبادئ الإسلام التي دعا إليها القرآن الكريم، ولكن بلفظ يختلف عن مصطلح الجودة وذلك في قوله تعالى: {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}، أي ذلك صنع الله البديع الذي أحكم كل شيء خلقه وأودع فيه من الحكمة ما أودع. وفي هذه الآية يلفت ربنا سبحانه وتعالى انتباه عباده إلى إتقان صنعته في خلقه، والإتقان مفهوم يتضمن أحكام الشيء وإحسانه، وأداء العمل بمهارة فإذا كان الإتقان ميزه نسبها الله إلى نفسه فكيف الحال بعباده؟ (قاسم نجم، 2004).

فالإتقان والجودة في الأداء المهني والعملي من الضروريات التي أوجبها الإسلام واعتبرها من المقاصد الضرورية في الحياة، وهو سبيل لرضا الله ووجهه، ومن الأدلة على فضل الإتقان وأهميته ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). (البیهقي، ص5313).

ولا تقوم حضارة ولا تزدهر صناعه إلا به، وتولي المؤسسات الصناعية والعلمية هذا الأمر عناية بالغة، ولذا وضعت المواصفات العالمية المتعارف عليها لكل منتج، سواء كان منتجا فكريا كالمناهج التعليمية أو كان منتجا ماديا كسائر المصنوعات (السحيم، 1432هـ، ص72). لذلك وجب على المعلمين ترسيخ هذه القيمة الإسلامية قيمة الإتقان في نفوس طلابهم، لأنها أساس الوصول إلى الكفاءة والاحتراف.

2.3.2 الإحسان

من المفاهيم المرتبطة بمفهوم الجودة في الإسلام الإحسان.

الإحسان لغة: مصدر أحسن يحسن إحسانا، وهو ضد الإساءة، وهو إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه، ويطلق على معنيين:

الأول: متعد بنفسه ، كقولك أحسنت كذا، وفي كذا، إذا حسنته وكملته.

الثاني: متعد بحرف جر ، كقولك: أحسنت إلى كذا ، أي : أوصلت إليه ما ينتفع به.

الإحسان اصطلاحا:

في الاصطلاح يدل لفظ الإحسان على معاني ثلاثة ورد بها القرآن ووردت بها السنة:

- 1- الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
- 2- الإحسان إلى الناس ، كالوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والمسلمين وسائر الخلق أجمعين.

3- إحسان العمل وإتقانه وإصلاحه، سواء العمل العبادي أو العادي أو المعاملاتي.

يعقب الشيخ عبد السلام ياسين على هذه التعاريف: " مجموع هذه الدلالات يعطينا مواصفات المؤمن الصالح في نفسه وخلقه وتعامله مع المجتمع، يعطينا الوصف المرغوب لعلاقات العبد بربه وبالناس وبالأشياء. علاقته بربه تكون إحسانية إن حافظ على ذكره لا يفتر مراقبته وخشيته ورجائه ودعائه ومناجاته، بهذا الإحسان في عبادة ربه يطيب قلبه وتحمل أخلاقه وتصلح نواياه وأفعاله فيكون للخلق رحمة يعم نفعه العالم الأقرب فالأقرب. ونفعه للمجتمع وللناس كافة لا يتوقف على حسن النية وجمال القصد والإسراع إلى الفعل فقط، بل يتوقف أيضا ، وبالمكانة المؤكدة ، على خبرته ومهارته وقدرته على إتقان ما هو موكول إليه من أعمال" (عبد السلام ياسين، 1998، ص19).

الإحسان في القرآن والسنة

الأصل في الإحسان الجودة والإتقان والإحكام، كما قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} (سورة السجدة ، آية 7.) ، وقوله تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} (سورة الرحمن آية 60) ، قال أهل التفسير: " أي ما جزاء من أتقن عمله وأحسنه في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة" (القرطبي، ص533).

والله سبحانه وتعالى أمر بالإحسان في جميع أعمالنا الحياتية ، في التعليم، والاقتصاد، والسياسة ، وكل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات قال تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (سورة البقرة، آية: 195).

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء). (رواه مسلم)
والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة) (رواه مسلم). والاستدلال هنا في الحديث أن على العبد المسلم إتقان العمل وإحسانه، حتى وإن كان هذا العمل في ذبح الحيوان، فمن باب أولى الإحسان في باقي الأعمال.

والعمل في الإسلام ليس مقتصرًا على العبادات وحدها ، وإن كانت العبادة هي أسمى هذه الأعمال وأفضلها، ولكن هناك مقاصد أخرى فعمارة الأرض وما يتعلق بها من العمل الصالح والمتقن يدخل ضمن غاية الاستخلاف في الأرض، فالفرد المسلم في المجتمع الاسلامي مكلف بالتعلم وتحقيق الاكتفاء الذاتي في المجالات التي تحتاجها الحياة اقتصاديا وعلميا وسياسيا . (جمعة، 2012).

فالإتقان والإحسان في التصور الإسلامي ظاهرة حضارية متميزة من ثمارها الرقي بالحضارة الاسلامية في هذا العالم.

ولعلنا نلاحظ أن من أسباب التخلف في المجتمعات الإسلامية افتقارها خاصية الإتقان والإحسان كظاهرة سلوكية وعملية على صعيد الأفراد والمجتمعات. وانتشار الصفات المتناقضة للإتقان كالفوضى ، والتسيب، وعدم المبالاة بقيمة الوقت واختفاء الإحساس الجماعي والإهمال والغش والخديعة.
والمجتمع المتعلم حقيقة هو المجتمع الذي يبشر بالحضارة والنظام والرفاهية والتخطيط والإنتاج والازدهار ، وهو المجتمع الذي يربط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات ، ويكتشف قوانين الله في الكون ويحسن التعامل معها والاستفادة منها (الزعتري، 2020).

4.2 تعريف جودة التعليم من المنظور الإسلامي: توجد عدة تعاريف تذكر منها

1- هي " عملية تستهدف تحقيق منتج تعليمي عالي الجودة، من خلال توفير المدخلات اللازمة والعمل على تحسينها بما يحقق الأهداف وفق معايير محددة، ويكفل تلبية حاجات سوق العمل، ويكون الدافع الأساسي لذلك كله، الحرص على إرضاء الله عز وجل " (أبو دف، 2007، ص 09).

2- جودة التعليم من منظور إسلامي عبارة عن " ترجمة احتياجات وتوقعات المستفيدين من العملية التعليمية إلى مجموعة خصائص محددة تكون أساسا في تصميم الخدمات التعليمية وطريقة أداء العمل من أجل تلبية احتياجات وتوقعات المستفيدين وتحقيق رضا الله عز وجل (الخطيب، 2007).

ومن خلال التعريفات السابقة للجودة في التعليم وغيرها من التعاريف الغير مدرجة هنا يتضح ما يأتي:

- تضمن مفهوم الجودة التعليمية بكل جزئياتها تحسين وتطوير المنتج وذلك بتوفير جميع المواد الأولية المتاحة والتكنولوجيا اللازمة ضمن منهجية مدروسة
- الحكم على جودة العمل والأداء، لا يتم إلا عن طريق ضبط معايير دقيقة ومعلومة ومدروسة.
- ترتبط الجودة أساسا بحاجات سوق العمل المجتمعي.
- غاية الفرد المسلم من تحقيق الجودة التعليمية هو إرضاء الله تعالى من خلال الالتزام بشريعته.

3. أهداف الجودة التعليمية من المنظور الإسلامي:

يمكن تقسيم هذا المطلب الى جملة من الفروع:

1.3 رفع مستوى المتعلمين:

إن تعليم الفرد ورفع مستواه بما يتلاءم مع التطورات الدولية والعلمية هي في الحقيقة منهج إسلامي راسخ منذ بداية الرسالة الإسلامية، فصناعة الفرد المسلم تنعكس على تطور المجتمع المسلم، ومما نجده في هذا المعنى في القرآن الكريم قوله تعالى: " ليتفقهوا في الدين " (التوبة آية 22)، من خلال النظر في دلالة لفظ " ليتفقهوا " أي: يفهموا؛ وهي غير يتعلموا، فمع الفقه [تعلم وفقه].

يقول صاحب التحرير والتنوير: " وإذ قد كان من مقاصد الإسلام بث علومه وآدابه بين الأمة وتكوين جماعات قائمة بعلم الدين وتثقيف أذهان المسلمين كي تصلح سياسة الأمة على ما قصده الدين

منها، من أجل ذلك عقب التحريض على الجهاد بما يبين أن ليس من المصلحة تمحض المسلمين كلهم لأن يكونوا غزاة أو جندا، وأن ليس حظ القائم بواجب التعليم دون حظ الغازي في سبيل الله من حيث إن كليهما يقوم بعمل لتأييد الدين" (ابن عاشور، 1984، ص59).

ثم لما كان طلب العلم فريضة فهو عبادة يؤثر صاحبها، وطريق موصل لمعرفة الخالق أولاً، ولعمارة الأرض ثانياً، ولا تكون الرفعة الموعودة بها أهل العلم في قوله تعالى: "يرفع الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة آية 11). ما لم يتحقق مع العلم جودة وإتقان وإحسان فلا خير في علم لا نفع فيه ولا ثمرة.

وفي السنة النبوية نجد النبي صلى الله عليه وسلم يخص بعضاً من صحابته بالأفضلية في العلم والتميز في فن من الفنون، كل ذلك يفهم منه حرصه صلى الله عليه وسلم ليجعل منهم قدوة يؤتسى بها، ودفع غيرهم إلى الإتقان والتجويد ومن ذلك:

قوله صلى الله عليه وسلم: " لبؤذن لكم خياركم وليؤمكم أقرؤكم " (البيهقي، 2003، ص626) وجاء في سنن أبي داود بلفظ "قراؤكم"، يقول العيني صاحب شرح سنن أبي داود: " قوله: " وليؤمكم أقرؤكم " أي: أعلمكم بعلم القرآن".

وكان من الصحابة من تميز بعلم وأجاده وحُص به، من ذلك نجد أن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - الذي عُرف بعلم الفرائض، وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما بالتفسير، وقد رُوي عن ابن مسعود قوله: " والذي لا إله غيره ما نزلت سورة من القرآن إلا وأنا أعلم حيث أنزلت، ولا آية وأعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه " (الطبراني، ص73).

فهذا المنهج من رسول الله صلى الله عليه وسلم من توزيع الأدوار وتعيين التخصصات؛ هو في الحقيقة منهج قويم وسليم يدعو إلى تجسيد معنى الجودة والإتقان، ورفع مستوى صاحبه وتميزه.

2.3 رفع مستوى المعلمين:

لا يمكن أن نحقق الجودة التعليمية إلا برفع مستوى المعلم، فهو أساس نجاح العملية التعليمية في جميع مراحلها، فتمكين المعلم في تخصصه بما يتناسب ويتلاءم مع متطلبات العصر يحقق حتماً الجودة للمتعلم باعتباره هو الوسيط والناقل للمادة العلمية.

وتتحقق الجودة التعليمية في هذا من خلال عدة أمور أهمها التدريب الدوري للمعلمين، بمخطط سنوي متكامل، دون التقصير في استعمال وتوظيف الوسائل التكنولوجية العصرية بما يخدم جودة التعليم .

ويشير الأستاذ أمجد قاسم: " أن الرؤية المستقبلية للنظم التربوية تتطلب مهارات أساسية لا بد من إتقانها كالتكيف والمرونة واستيعاب التغير السريع في البيئة المحيطة محلية وعالمية والقدرة على نقل الأفكار بأسرع الوسائل وأدقها، والعمل على تطوير قدرات بالمعلم والمتعلم في العملية التعليمية التعلمية، واستيعاب الوسائل التكنولوجية الحديثة للتطوير وللنهوض الوطني"

إن تحقيق الكفاءات المخطط لها في المناهج يكون المعلم هو السبيل لتطبيقها، وعرضها بالكميات الصحيحة والمعبر عنها بالتعلمات المقدمة للمتلقين، لذلك ترى منظمة اليونسكو أن تكوين المعلم وإعداده من الضرورات الهامة في العالم، وبها يمكن حلول المشكلات والمعضلات التي تقع في المجتمع، وهذا يتطلب من الدول أن تفرض في مناهجها الوزارية تدريب المعلم المستمر بمخطط شاملة وملزمة ومحفزة.

3.3 تلبية حاجيات المجتمع ومعالجة مشكلاته:

من أهم ثمار تحقيق الجودة التعليمية هو تحقيق ما يحتاجه المجتمع المسلم المعاصر وما ينقصه في كل الميادين ، ولا تقتصر على التعليم النظري الذي لا يستفيد منه المجتمع ويخدم تطوره بما يمكن من منافسة الدول وتحقيق الاكتفاء العلمي والاقتصادي والتكنولوجي. وفي ديننا الحنيف الكثير من النصوص التي تدعو لذلك ، منها قوله تعالى: " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ترهبون به عدو الله وعدوكم".

وتاريخنا الاسلامي حافل بالمنجزات العلمية التي ساهمت في تطور الدولة الاسلامية وكسبها للريادة الدولية، في كل المجالات من زراعة وصناعة وفلك وغيرها مع العلوم النافعة التي كان لها الدور في حل مشكلات المجتمع.

كما أن التأصيل لهذا من خلال النصوص الشرعية الداعية إلى تبليغ العلم للناس، حتى تتحقق الغاية منه من النفع وسد الحاجات ، وبالمقابل جاءت الكثير من النصوص الناهية عن كتمانها.

يقول الله عزوجل: " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون" (سورة النحل آية :44).

يقول الزحيلي: "وكما أنزلنا الكتب إلى من قبلك يا محمد، أنزلنا إليك القرآن، لتبين للناس ما أنزل إليهم من ربه من الشرائع والأحكام والحلال والحرام وقصص الأنبياء والأمم الماضية التي أريدت لتكذيبها الرسل، ومن أجل أن يتفكروا وينظروا في حقائق الكون وأسرار الحياة وعبر التاريخ، فيهتدون ويفوزون بالنجاة في الدارين" (الزحيلي، ص 1264).

والأصل في الشريعة الإسلامية أنها منهج حياة، لهذا كانت الأحكام المستنبطة من الأدلة التي تجيب على الأسئلة المتعلقة بحياة المكلفين، وترد على تساؤلاتهم، وتنظم حياتهم وتدفع بها إلى ما فيه صلاحهم، وكرام عيشهم.

لذلك نجد في الوقت الراهن ما تفرضه المقررات الوزارية في ربط الجامعة بمحيطها الاجتماعي والاقتصادي، عن طريق إنشاء مخابر جامعية لها صلة بذلك، وعن طريق تنظيم ملتقيات وورشات علمية أساسها حل المشكلات التي يحتاجها المجتمع.

4. معايير جودة المعلم من المنظور الإسلامي:

المقصود بمعايير الجودة جملة المقاييس والمواصفات التي أقرها العلماء المسلمون والتي في ضوءها يتم الحكم على جودة العملية التعليمية كمدخلات ومخرجات.

ومن خلال النظر إلى كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك من خلال استقراء أقوال العلماء المسلمين فيما يخص العملية التعليمية بمستلزماتها ومتطلباتها، وفي هذا المقال سنسلط الضوء على معايير الجودة الخاصة بالمعلم.

إن المعلم هو قائد الموقف التعليمي الذي يقود المتعلمين إلى العلم النافع في الدنيا والآخرة، وينبغي أن يكون منهج إعداد المعلم معين له في القيام بواجبه خير قيام، لذلك لا بد أن تتوفر عدة معايير على أساسها نحكم بجودة المعلم الذي يقودنا لتحقيق أهداف الجودة التعليمية وأهم هذه المعايير الخاصة بالمعلم.

1.4 معيار الكفاءة:

وهذا يتحقق بالأعداد الجيدة للمعلم، وتكوينه حتى تكتمل معرفته بالمادة العلمية التي يدرسها، وقد جاء التوجيه القرآني {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}، (سورة الإسراء آية 37). ولذلك ننوه على ضرورة عدم توظيف المعلمين إلا بعد اجتيازهم لمسابقة نموذجية، والخضوع لتكوين أولي ومستمر قبل التدريس وأثناءه، وبعده.

فالخبرة العلمية والتكوين المستمر، والتعلم المنهجي يعد الأساس الأولي للكفاءة، وهو شرط لكل وظيفة دينية ودينية، ساسية أو إدارية أو تعليمية، مثل عمل يوسف عليه السلام الذي قال له ملك مصر : {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} (سورة يوسف، آية 54)، وقوام هذه المؤهلات أمران : حفظ يعني به الأمانة، وعلم يقصد به الخبرة والكفاءة.

وحذر الحسن البصري رضي الله عنه من الكفاءات المزيفة التي تدعي الأهلية للعمل فيقول: " العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح" الشاطبي، (1992، ص682).

ويقول ابن حزم " لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها ، وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويضنون أنهم يعلمون، ويفسدون، ويقدرّون أنهم يصلحون" (ابن حزم، 1980، ص345).
ويحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خطر إسناد الأمر لغير أهله من الأكفاء : (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)، نهنا هذا الحديث العظيم إلى علة مبيدة متلفة، من عللنا الاجتماعية المختلفة وهي قيام نخضتنا على جهاز تندس فيه بعض العناصر التي لا تصلح لان تكون في الأساس ، لأن الأساس يجب أن يتكون من حجارة قوية صلبة تثبت لما يقوم عليها من بناء، وإلا تضعع البناء وانهار، وأدركه الدمار (احمد سحنون، 1992، ص342).

2.4 معيار الإعداد الروحي والخلقي:

تقوم التربية في الإسلام على توطيد العلاقة بين الإنسان وخالقه، وهذه العلاقة تمثل الجزء الروحي للإنسان، وهي التي تسمو به إلى عالم الأخلاق والطبع النبيل، ويعتبر الإعداد الروحي الجانب المهم والاساسي في سلسلة التربية الإسلامية، والتي بدايتها معرفة الله عز وجل والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، والعمل في إطار مبدأ الرقابة الذاتية ومراقبة الله عز وجل، التي هي أساس للجودة التعليمية.
والايمان الصحيح لا يتحقق الا إذا تحققت ثماره وهي الاخلاق الحميدة في الحياة، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: " (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وتؤثر العقيدة الصحيحة والايمان الصادق في سريرة الفرد فتدفعه إلى التعلم الصادق وإلى جودة العمل وإتقانه بما يخدم المجتمع الاسلامي.

لذلك المعلم الذي تم إعداده في الجانب الروحي والخلقي هو قدوة للمتعلمين، لذلك على الأولياء والآباء الحرص على تعليم أبنائهم عند المعلم ذو الخلق الرفيع ، كما يقول الصحابي عتبة بن أبي سفيان لمعلم ولده: " ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت والقبیح عندهم ما تركت" (ابن عبد ربه ، 1404هـ، ص272).

3.4 معيار تقويم المعلم والرقابة على أعماله:

بداية نوه أن المعلم وجب عليه أن يقوم بالرقابة الذاتية حتى يكون عمله جيدا متقنا، وهذه ميزة خاصة ومستقلة يتميز بها ديننا الاسلامي، إذ يحاسب الفرد أو العالم أو المعلم نفسه بنفسه، مستحضرا

رقابة الله عليه في جميع أعماله وتصرفاته، مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (سورة النساء، آية 1)، وبالإضافة إلى رقابة الله أو الرقابة الذاتية والاحتساب توجد في الإسلام ما تسمى بالرقابة الإدارية على أداء المعلمين، وهي ضرورية لتحقيق أهداف وثمار الجودة التعليمية. ، وبخصوص الرقابة في الإدارة الإسلامية عرفها الدكتور حزام المطيري بأنها: " تلك الرقابة الشاملة، سواء كانت علوية أو ذاتية ، أم إدارية، أم خارجية، والتي تسعى إلى التأكد من أن الأهداف المرسومة والأعمال المراد تنفيذها قد تمت فعلا وفقا للمعايير والضوابط الشرعية الإسلامية" (حزام ماطر المطيري، ص 192).

ومن بين الشواهد على الرقابة في القرآن الكريم، قوله تعالى: {وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}. (سورة التوبة آية 105).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته) (رواه البخاري).

4.4 معيار التمكن من تقنيات التعليم والتعلم الحديثة:

الجودة التعليمية في القرن الواحد والعشرين ترتبط ارتباطا وثيقا بمدى تحقق معيار جودة المتعلم من حيث تمكّنه من تقنيات التعليم والتعلم الحديثة، سواء خاصة بالإعلام الآلي والبحث الالكتروني ، أو من حيث طرق التدريس الالكترونية الحديثة، أو من حيث تعليم مهارات التحاضر عن بعد، وهذا المعيار لاحظنا ضرورته والحاجة إليه هذه السنوات خاصة ، في ظل الوباء العالمي كوفيد 19، وشاهدنا أن الأستاذ الناجح هو المتمكن من هذه التقنيات، وهذا من ضرورات العصر، ونحن نعلم القاعدة الفقهية التي تقول: " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

كذلك قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (سورة الأنفال، آية 60)، مما يستنبط من هذه الآية أن الأمة الإسلامية واجب عليها أن تصل إلى إعداد القوة اللازمة لرد الأعداء ، وفي الماضي كانت القوة هي الرماح والسيوف والخيل، واليوم القوة تغيرت وتحولت إلى قوى أخرى أهمها التطور العلمي لاسيما في المجال الطبي الذي يتطلب جودة تعليمية رائدة حتى يتوصل علماء مسلمين هذه الأيام مثلا لاكتشاف لقاح ضد هذا الوباء كوفيد 19، والذي نشهد عليه تنافس من دول أجنبية غربية للهيمنة على اللقاح.

لذلك يجب الاستفادة من الخبرات العالمية في مجال التربية والتعليم، ضمن شروط ومعايير إسلامية حضارية أهمها:

- يجب أن تكون الخبرات العالمية بكل تخصصاتها ومبادئها موافقة لأحكام الشريعة الإسلامية، وهذا دور المرجعية الإسلامية لكل دولة.
- يجب أن تكون هذه الخبرات العلمية مما يحتاجها المجتمع الإسلامي، نظريا وتطبيقيا، بمعنى أن تسد حاجياته الأساسية.
- التركيز في التعامل مع الخبرات التربوية العالمية على ما له صلة بالوسائل والأساليب والآليات والتكنولوجيا ضمن تحقيق معايير الجودة الإسلامية وملاحظة قيم المجتمع المسلم، والابتعاد قدر الممكن عن أخذ الخبرات التربوية العالمية ذات التكوين المفاهيمي الوجودي والحضاري، بل والحذر من نقلها إلا بعد فحصها التربوي والعلمي والقيمي الدقيق.
- الاقتصاد على ما يحتاجه المجتمع الإسلامي فعليا، مع إمكانية تعديل ما يتوافق نظريا وتطبيقيا مع المقاصد والاهداف التربوية للمجتمع المسلم. (حطاطة، ص 187)

5.4 معيار استمرارية التكوين وتجديد المعارف

لتحقيق ثمار الجودة التعليمية وبلوغ أهدافها يجب تحقيق معيار تكوين المعلم وتجديد معارفه وخبراته دوريا ومدى الحياة، وذلك مواكبة للتطور السريع لكل ما يتعلق بالعملية التعليمية بجميع أبعادها ومعالمها، ومن القواعد المقررة والمعلومة أن الإسلام دين لكل زمان ومكان، وحاجات المجتمع المسلم تتطور وتختلف حسب الظروف والتقنيات العلمية الجديدة أو المتباعدة من عصر إلى عصر، والواجب التكيف مع هذه المستجدات.

لذلك المعلم في حاجة لتكوين وتطوير دوري ومستمر، بمخطط منهجي، يواكب ويتناسب مع التطورات الجديدة في العلوم والمهارات والخبرات، كذلك يجب أن يراعى أيضا للتجديد في محتوى المادة العلمية لمختلف العلوم، حيث تظهر نظريات واكتشافات جديدة متسلسلة، كما قد تجد بعض النظريات والمعارف العلمية إلغاء أو تعديلا. وقد أوصى بذلك الإمام علي رضي الله عنه بقوله " علموا أولادكم غير ما علمتم، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم." (مرسي، 2005، ص 75).

5. خاتمة: نخلص في ختام هذا البحث أن الإسلام منهج حياة متكامل، شامل لحياة الانسان، لذلك نجد أن الجودة التعليمية قيمة إسلامية حث عليها الشرع لتحقيق غاية سامية وهي إرضاء الله عز وجل، ولذلك

- وضع علماؤنا ضوابط شرعية لمتطلبات الجودة التعليمية ومتطلباتها ومعاييرها، فأجازوا الاقتباس من المناهج التعليمية الغربية بما يتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية.
- ومن خلال ذلك تم التوصل إلى جملة من النتائج أهمها:
- الجودة قيمة إسلامية أصيلة في المجتمع المسلم ، وهي مرادفة للإحسان والالتقان، وتحتاج إلى تفعيل لتحسين جودة الأداء التعليمي.
 - المعلم يمثل الدور الأساس في العملية التعليمية، لذلك أحاطه المنهج الإسلامي بجملة من المعايير والتدابير لبلوغ ثمار الجودة التعليمية.
 - من ثمار تحقيق الجودة التعليمية في المجتمع المسلم هو الاستجابة لحاجيات المجتمع في مجالات الزراعة والصناعة والاقتصاد والسياسة وغيرها مما يحقق التنمية الشاملة والاكتفاء الذاتي.
 - تتحقق الجودة التعليمية في حاضرتنا من خلال التدريب المستمر للمعلمين، وربطهم بالوسائل التكنولوجية الحديثة.
 - من أسباب التخلف في المجتمعات الإسلامية افتقارها خاصة الإلتقان والإحسان كظاهرة سلوكية وعملية على صعيد الأفراد والمجتمعات.
 - التركيز في التعامل مع الخبرات التربوية العالمية على ما له صلة بالوسائل والأساليب والآليات والتكنولوجيا ضمن تحقيق معايير الجودة الإسلامية وملاحظة قيم المجتمع المسلم.
 - معيار الإعداد الروحي والخلقي للمعلم ميزة يختص بها التصور الإسلامي، وهي تضاهي الرقابة الإدارية في المفاهيم التعليمية الغربية.

6. قائمة المراجع:

- 1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان
- 2- ابن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار ،وزارة الإعلام ،العراق.
- 3- أحمد سحنون، (1992)، دراسات وتوجيهات تربوية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- 4- ابن حزم ، (1980) ، رسائل ابن حزم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1،
- 5- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت.
- 6- ابن سينا الحسين بن عبد الله ، القانون في الطب، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.
- 7- الشاطبي ، (1992)، لاعتصام، دار بن عفان، السعودية.
- 8- الطبراني، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة، ط: الثانية.
- 9- العجلوني ابراهيم طه محمد، (2007)، نظام عربي مقترح في إدارة الجودة ، رسالة دكتوراه، كلية الاقتصاد،
- 10- عبد الله بن حمد بن سعيد المعشري، (2016)، إدارة الجودة من منظور إسلامي، ، مقال منشور بمجلة التجارة العامة، ماليزيا، العدد الرابع.
- 11- عليمات صالح ناصر، (2004)، إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية، دار الشروق، عمان، الأردن.
- 12- ابن عبد ربه، (1404هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- 13- عدنان حطاطبة، مُحدّدات الفكر التربوي الإسلامي وانعكاساتها على رؤية المفكر التربوي المعاصر
- 14- عبد السلام ياسين، (1998)، الإحسان، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
- 15- القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، دار الكتب، المصرية، القاهرة.
- 16- قاسم نجم، (2004)، المبادئ الأساسية للجودة في القرآن والسنة، المجلة الدولية للبحوث الإسلامية والانسانية المتقدمة، المجلد4، العدد 9، سبتمبر.
- 17- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (2005)، القاموس المحيط مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8،

- 18- محمد عبد الله السحيم، (1432هـ)، القيم الحضارية في رسالة خير البشرية، الرياض، ط1، ص 72.
- 19- محمود خليل أبو دف، (2007)، جودة التعليم في التصور الإسلامي، مؤتمر الجودة في التعليم العام الفلسطيني كمدخل للتميز، كلية التربية، غزة، 30، 31، أكتوبر
- 20- محمود الخطيب، (2007)، كيفية تحقيق الجودة في العلم العام، مجلة الدعوة العدد 3198.
- 21- محمد الطاهر بن عاشور، (1984)، التحرير والتنوير، دار: التونسية للنشر.
- 22- محمد منير مرسى، (1425هـ / 2005م)، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب